د . الحملات الصليبية :

1- الحملة الصليبية الأولى واحتلال بيت المقدس وتأسيس الامارات الصليبية في بلاد الشام :

بعد نداءات الإستغاثة التي قدمتها الدولة البيزنطية ، ممثلة في طلب الامبراطور البيزنطي ميخائيل السابع (1071-1079م /464- 472 هـ) الذي الح على البابا جريجوري السابع (1073-1085م /466 478هـ)، بارسال نجدة سريعة لإنقاذ الامبراطورية البيزنطية ووعد ميخائيل ان يرد جميلاً للبابوية بالعمل على إزالة الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية وقد عمل البابا بكل ما أوتي من جهد وقوة ان يحض ملوك اوربا على مساعدة الدولة البيزنطية . ثم حدثت سلسلة انقلابات اطاحت بـ ميخائيل السابع ،حيث اعقبه نقفور الثالث (1079 1081م/472-474هـ) واطاح بنقفور ثورة قادها الجيش وعين الكسيوس كومنين امبراطوراً بدلاً عنه سنة (1081-1118م /474- 512هـ) وكان الامبراطور الكسيوس كومنين رجلا قديرا، حاول أن يعالج مختلف المشاكل الداخلية والخارجية التي تعرض لها ، ولاسيما ما يتعلق بالتحدي السلجوقي في آسيا الصغرى وعدم استطاعته مواجهة ذلك التحدي وحده ، فاستنجد بالبابوية وبالبابا اوربان الثاني (1088-1099م/481-493هـ)، الذي وجد في هذه الدعوة فرصة طيبة لتحقيق حلمه بطرد المسلمين من آسيا الصغرى ، فضلاً عن طردهم من اسبانيا ، فضلاً عما يتمتع به هذا البابا من قوة الشخصية والتاثير ، وارتفعت مكانة البابوية في عهده ، فاراد هذا البابا أن يستعيد سيطرة الكنيسة الكاثوليكية على الكنيسة الارثودوكسية من خلال هذا الاستنجاد ، وقد جرى تبادل للوفود مع القسطنطينية ، ورفع البابا اوربان الثاني قرار الطرد والحرمان ضد هذا الامبراطور البيزنطي، كما وعد الامبراطور البيزنطي بمنح قدر اكبر من الحرية للكنائس الكاثوليكية في ادارة شؤونها في المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة البيزنطية . كما عقد مجمع ديني في مدينة بياكنزا شمال ايطاليا حضره ممثل عن الامبراطور البيزنطي فطلب المساعدة من الكنيسة ضد المسلمين في آسيا الصغرى. وقد نجح مبعوث الامبراطور من اقناع البابا من ان السلاجقة لا يهددون الدولة البيزنطية فحسب وانما المسيحية جمعاء ، وأن قوة السلاجقة اخذت تضعف ، ويجب استغلال تلك الفرصة وتوجيه ضربة قوية لهم ، ولولا ان الدو البيزنطية منشغلة بحماية حدودها على نهر الدانوب لقضيق عليهم ، ولهذا جاءت لطلب المساعدة وقد رحب رجال المجمع بتلك الآراء وايدوها ، وقرروا القيام بدعوة صليبية تعزز الامبراطورية البيزنطية فكر البابا مليا في نتائج المؤتمر وعقدت اجتماعات كثيرة اعقبه الاجتماع المهم في كليمونت فيران في فرنسا ،حيث القى البابا خطاب حماسياً استثار به همم الملوك والقسس في ذلك المجمع ليؤدوا دوراً مهم في تلك الحملة ، كما سائد البابا عدد من الرهبان والقسس ومنهم على سبيل المثال أدهمار اسقف بوي Puy وبطرس الناسك الذي كان ممثلاً في طريقة أدائه

، بملابسه الرثة وقدميه العاريتين وحماره الاعرج ، والذي طاف به في مختلف ارجاء اوربا يدعو الى تلك الجملة مدعياً انه اراد الحج فمنع من قبل السلاجقة ، وعلى الأوربيين مساعدته بتحقيق هذا الحلم الذي طالما حلم به ، أو قد يموت ولا تتحقق له زيارة بيت المقدس وكذلك والتر المفلس ، الذي قاد جموع الصليبيين عبر هنغاريا صوب المنظمة الدولة البيزنطية ، وقد تناسى اتباعه وهم يدخلون اراضي الدولة البيزنطية أنهم في بلد مسيحي ، فقاموا بنهب كل ما صادفوه من اشياء ثمينة من البيوت والكنائس والأديرة ولاسيما في القسطنطينية توجهت جموع الصليبيين غير صوب الامبراطورية القسطنطينية يقودهم بطرس الناسك ووالتر المفلس ، وقد أحسن الامبراطور البيزنطي استقبالهم ، وأبقاهم خارج القسطنطينية ، خوفاً من تصرفاتهم التي اخذوا يمارسونها ان لم يكن سلما فبالسلب والنهب والقوة والاكراه، وكما ذكرنا فان الكنائس والأديرة لم تسلم من اعتداءاتهم وبخاصة فان فيها كنوز اوربا ، وما جمعه وقدمه الاباطرة لها، وقد قدم الامبراطور البيزنطي الكيسوس كومنين النصح والارشاد، وأوصاهم بان لا يتعجلوا الحرب مع المسلمين ، ولا يشتبكوا معهم حتى تصل جيوش الامراء، لكن انفلاتهم وعدم قدرتهم على ضبط نفسهم، فضلاً عن عدم تدريبهم ، مما أخاف الامبراطور منهم ، وارسل رسالة للبابا يطلب فيها ارسال جيوش نظامية وليس رعاعا ودهماء غير منضبطين ، اذ اننا نعرف ان الجيش النظامي فيه ضبط وربط وقيادة وأوامر وتوجيهات وزيادة في حرص الامبراطور البيزنطي على عاصمته ، فقد حسن لهم العبور الى البر الآسيوي ، فعبروا مضيق البسفور، لكن الصليبيين لم يتوقفوا عن اعمال السلب والنهب ، وتعرض سكان المناطق التي مروا بها الى كل ما لا يتصوره العقل من اعمال واعتداءات ، وهذه الاعتداءات لم تقع الا على المسيحيين من رعايا الامبراطورية البيزنطية . كما لم يعنوا بما يحيط بهم ولم يعرفوا أن مدينة قونية (عاصفة سلاجقة آسيا الصغرى بقربهم ، وكان السلاجقة يراقبون عن كتب ما يجري حواليهم وعندما وجدوا أن الفرصة سانحة انقضوا على هذه الجموع غير المدربة وابادوها عن بكرة أبيها ، على الرغم من محاولة الامبراطور البيزنطي مساعدتها ، وذلك بارسال سفن حربية رست على الشاطيء الآسيوي، ولكن بعد فوات الأوان. كما اخفت ايضا حملات اخرى قادها عدد من Gottschalk واميخ هو (1) الرهبان مثل فولكمار Volmar وجوتشوك Emich. وهناك ملاحظة أود أن أشير اليها أن اليهود في اوربا لم يدعموا المشروع الصليبي لأسباب عدة من بينها خوفهم على مصالحهم التجارية ، ولهذا سعوا الى عرقلة المشروع الصليبي وقدموا الأموال لذلك ، والهدف الحفاظ على مصالحهم واستمرارهم في ممارسة الربا واقراض المسيحيين ، وقد جرت مشاكل عديدة بين اليهود والصليبيين اسيء فهم بعضها ودخل التحريض جانبا منها وسادت روح الانتقام ضد اليهود ا تعرضوا في كثير من المناطق الى القتل والمصادرة والتشريد اجتمع قرابة 150000 رجل على الساحل البري قبالة القسطنطيني من الصليبيين وكانت

نيتهم تتجه نحو بلاد آسيا الصغرى وبلاد الشام التي مزقتها الحروب الاسرية والمنازعات ، ولهذا قدر للصليبيين أن يفعلوا . يشاءون في المناطق التي مروا بها ما دامت هذه الجبهة ممزقة ،وكار الأمل الوحيد للمسلمين هو موقف سلاجقة آسيا الصغرى من هذا الهجو الصليبي الجارف ، الذين لم يكونوا مهينين تماماً للحدث الكبير الذي قد لهم أن يواجهوه ، وكان على سلطان سلاجقة آسيا الصغرى اتخاذ القرارالملائم والحازم في الوقت المناسب بعد الانتصار الذي احرزه السلاجقةعلى جموع الصليبيين غير المدربة كما مر بنا قبل قليل كانت سياسة السلاجقة الاحتفاظ بعدد من الحاميات العسكرية البسيطة في المدن الواقعة على الطريق العسكري المنطلق من القسطنطينية ، فيما خلت مناطق اخرى من الجند السلجوقي تماماً مما اعطى منفذاً للقوات الصليبية لإجتياز هذه المناطق دون عناء، وكانت مدينة نيقية عاصمة سلاجقة آسيا الصغرى، محصنة بشكل جيد ، لكن لا تستطيع المقاومة الى ما لا نهاية ، وقد ترك السلطان السلجوقي قلج ارسلان فيها حامية عسكرية لتدافع عنها ، وحاصرت القوات الصليبية مدينة قونية ، واستمات اهلها في الدفاع عنها ، على امل قيام السلطان السلجوقي بمحاصرة الصليبيين ، لكن هذا لم يحدث اذ، ترك قلج ارسلان المدينة لقمة سائغة امام الصليبيين الذين لم يرحموا احدا من سكانها ، بعد استسلام حاميتها بموجب اتفاقية عقدت بين القوات الموجودة فيها وبين القوات الصليبية لكن هذا لم يحدث ، اذ نكث الصليبيون بوعودهم كعادتهم . في حين اكتفى قلج ارسلان بالاشتباك مع الصلبيين في معركة دوريليوم حزيران 1097م/490هـ ، ثم توالى تقدم الصايبيين في الاراضي السلجوقية في وأخذت المدن الواحدة بعد الاخرى تسقط بيد آسيا الصغرى الصليبيين، حتى وصلت قواتهم الى اسوار الرها التي حاصروها ، والتي سقطت بعد حصار لم يستمر طويلا ، واسست اول إمارة صليبية فيها عرفت بامارة الرها ، وهي الإمارة الصليبية الأولى التي نجمت عن هذه الحملة الصليبية. وقد أدى الارمن دورا رئيسا في تسهيل وصول القوات الصليبية الى كل مناطق آسيا الصغرى نظراً انهم من سكان المنطقة ويعرفون طرقها ومزاغلها ونقاط الضعف والقوة فيها ، كما أدى الارمن دوراً آخر وهو قيامهم باضعاف السلاجقة في آسيا الصغرى باعلان الثورات تلو الثورات ضد الحاميات السلجوقية التي كانت تحميه في السابق وتسمح لهم بممارسة اعمالهم وتجاراتهم و وعباداتهم تنبه الأرمن على الخطأ الذي ارتكبوه ضد الملاحقة بالرغم من محاولات بلدوين التقريب وجهات النظر بين الأرمن واللاتين وذلك بزواجه من ابنة احد زعماء الأرمن الأميرة أرادا Arada فحاولوا الاتصال بالارائقة لكنهم فشلوا وكشفت المؤامرة وعوقب مرتكبوها وبذلك دفع الأرمن الثمن غالياً الخيانتهم السادتهم السلاجقة ثم توجهت القوات الصليبية الأخرى الى حصار مدينة أنطاكية ، التي كان يحكمها باغي سيان، وحاصروها لمدة تقرب من تسعة اشهر ، وأدى بوهيمد دوراً في منع وصول الامدادات الى المدينة، فضلاً عن جهوده في الاستفادة من الأساطيل الايطالية في حصار المدينة بحراً ونقل

الامدادات للصليبيين عبر البحر ، وتم الاستيلاء على المدينة بعد خيانة فيروز أحد قادة ياغي سيان ، ولم تفلح امدادات كربوقا أمير الموصل في منع سقوط المدينة ، والتي كانت قواته على بعد ثلاثة أيام قبل سقوطها بيد الصليبيين . وجاءت قوات كربوقا وفرضت الحصار على الصليبيين فيها إلا از القوات الصليبية ما لبثت أن انتصرت على قوات كربوقا ، بعد معانا شديدة في داخل انطاكية وبهذا الانتصار اسس الصليبيون الامار الصليبية الثانية في مدينة انطاكية لقد أثار سقوط أنطاكية موجه من الذعر والخوف في مختلف البلا الاسلامية القريبة منها ، وذلك لكونها تشرف على عقدة مواصلات لل الجهات مع بقية ارجاء العالم الاسلامي ، وقد هرب من كان بها مو المسلمين وتسلمها الارمن ((، كما أن سقوط انطاكية بيد الصليبيين) منقطع النظير في البلاد الأوربية لم يماثله الا حماس احتلا بيت المقدس ، فانطاكية مدينة قديمة لها تاريخ حافل ، فهي ملتة آثار حماساً .الحضارات اليونانية والعربية، ومركز تجاري مهم بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية. وتوجهت القوات الصليبية إلى مختلف المدن المهمة على طريق القدس فاحتلوها وهذا ما حدث في مدن عديدة فابادوا اهلها وخربوا بساتينها وحرقوا أسواقها بعد النهب وهذ ما حدث فى كل مدن بلاد الشام ونتيجة لما ومنها معرة النعمان مسقط رأس ابو العلاء المعري حدث فقد استنجد الخليفة بالسلطان السلجوقي 491هـ / 1097م برسالة يدعوه فيها الى الجهاد (3) ، ولكن السلطان السلجوقي كان منشغلا بمشاغله ومشاكله الداخلية لتثبيت حكمه ، وكانت هذه الرسالة بمثابة انذار اطلقه الخليفة ليحمل السلطان المسؤولية الكاملة امام الله وامام الناس ثم توجهت القوات الصليبية جنوباً نحو بيت المقدس الهدف الاكبر للصليبيين ولتلك الحملات العديدة وحاصروا المدينة حتى سقطت في 15 تموز 1099م/493هـ ، وتم ارتكاب ما لا يمكن وصفه او ذكره من قبل الصليبيين في بيت المقدس من اعمال وحشية يندى لها جبين الانسانية وبتأسيس امارة بيت المقدس انتهت الحملة الصليبية الأولى، والتي نجم عنها تأسيس ثلاث إمارات صليبية هي الرها وانطاكية وبيت المقدس . وقد أشار باركر وهو مؤرخ مسيحي الى ما حدث في بيت المقدس من مجازر يؤكد ما ذهبنا اليه ((وأجرى الصليبيون مذبحة ، اذ ان الدماء بلغت من شدة التدفق في الشوارع ، ان خاص مريعة الناس بخيولهم فيها ، ولما انزل الليل ،استاره، اقبل الصليبيون آخر الامر الى كنيسة القيامة ، وقد بكوا من شدة الفرح ، وفي الكنيسة رفعوا أيديهم المخضبة بالدماء ، وصاروا يجهرون بصلاتهم ومن هذه الاشعار الصريحة والخشنة في مسحتها الطبيعية والمفعمة بالعداء ((لشعب الكفار يقصد المسلمون ((يحكي مؤرخو القرون الوسطى نقلا عن اقوال شهود عيان عن المآثم والفضائع التي اقترفها الصليبيون في القدس العربية حين احتلوها في 15 تموز 1099م/494هـ :الافرنج يجوسون المدينة شاهري السيوف لا يشفقون على احد حتى على الذين يتوسلون الرحمة سقط شعب الكفار تحت ضرباتهم مثلما تسقط جوزات البلوط المهترئة من شجرة البلوط حين يهزون اغصانها ويتساءل زابوروف

لأية اهداف ابدوا القساوة وعدم الرحمة؟ اية مثل عليا كانت تلهمهم وتشجعهم؟ وهل تطابقت مع هذه المثل العليا النتائج العملية لحروب الفرنجة التي استمرت حتى بعد الاستيلاء على القدس، على امتداد قرنين في القسم الشرقي من البحر الابيض المتوسط ؟وقد اثار سقوط بيت المقدس أشجان المسلمين في كل مكان ،ومر يتتبع كتاب الفتح القسي يجد مصداق هذا الكلام. وقد قال الشاعر الابيوردي في هذا الباب مزجنا دماء بالدموع السواجم فلم يبق منا عرضة للمراحم وشر سلاح المرء دمع يفيضه اذا الحرب شبت نارها بالصوارم

آثار الاحتلال الصليبي في العالم الاسلامي :

لم تكن الحملة الصليبية الأولى مجرد غزوة عابرة قامت بها الدول الأوربية بدعم من الكنيسة فحسب بل هي حملة منظمة استهدفت فيما استهدفته السيطرة على مناطق خارج اوربا ، لأهداف معلنة واخرى غير معلنة ، غلفت بغلاف الدين وحماية الاراضي المقدسة في فلسطين ،قادتها ووجهتها الكنيسة الغربية الكاثوليكية لأهداف معروفة لدينا ، وهي قيادة العالم المسيحي تحت قيادة مسيحية موحدة ، وقد حاولت الكنيسة الغربية رأب الصدع الذي ما لبث أن ظهر بين قادة تلك الجيوش الصليبية اكثر من مرة مما يوضح الانقسام الذي كان دائماً ما يحدث بين الامراء المتنازعين على السلطة والمتنافسين للسيطرة على المناطق المختلفة طبقاً لما يراه هؤلاء الامراء من مصالحهم الخاصة ، دون الالتفات الى مصالح الكنيسة التي هيأت لهم هذه الظروف ، فتنافسوا فيما بينهم بحروب وتحالفات كثيرة . اما اثر هذه الحملات في مختلف مناطق العالم الاسلامي فكثيرة ، فقد مزقت هذه الحملات البلاد الاسلامية بسيطرتها على قلب العالم الاسلامي مقطعة أوصاله ومعرقلة لخطوط مواصلاته وتجارته ، فانعدمت الزراعة نتيجة للحروب الكثيرة التي خاضها الصليبيون فيما بينهم، أو الحروب التي قام المسلمون بشنها عليهم لإسترداد اراضيهم ومناطقهم كما مارس الصليبيون. اقسى انواع الظلم على من بقي من المسلمين تحت سيطرتهم وفرضوا عليهم نظام المجتمع الاوربي الذي كان سائداً في اوربا (نظام القنانة) وهدموا المساجد والجوامع ، ومما يدل على ذلك قيامهم بتدمير المسجد الاقصى وقتل الناس الموجدين فيه، اثناء دخولهم الى بيت المقدس، تماماً كما يفعله الصهاينة اليوم ، كما لم تقف اطماع الصليبيين بتأسيس الامارات الثلاث ، بل حاول كل امير منهم ان يوسع من ممتلكاته على حساب المناطق المجاورة ، ونحن نعرف ان بلاد الشام ، مركز الثقل الصليبي في هذه الامارات ، كان من أخصب وانشط

وارقى بقاع العالم أنذاك من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعلمية لكن الغزو الصليبي لبلاد الشام حولها الى مناطق مدمرة ومجزأة، فقطعت طرق المواصلات واهملت الزراعة ، وتأخرت

الحركة العلمية و انقطعت طرق الحج والتجارة ورحلات العلم، الا ما يقوم به الصليبيون من نشاطات في هذا الجانب يدعمهم التجار الايطاليون . فضلا عن الحروب التي نشأت بين القوى الصليبية والمسلمين والتي أدت بدورها الى القضاء على كل العناصر الحضارية في هذه المنطقة ،فخربت المدن وانهدمت الاسوار والتحصينات واندثرت الجداول ومشاريع الري في المنطقة، فضلاً عما تخلفه تلك الحروب من مشاكل اجتماعية خطيرة فالحرب تعد مطحنة للرجال من كلا الطرفين ، وتنعكس آثارها في المجتمعين الاسلامي والأوربي -2- تحرير الرها والحملة الصليبية الثانية: تولى إمارة الموصل قائد قدير يعرف بعماد الدين زنكي ، والذي وسع حدود إمارته فسيطر على حلب وضمها الى اتابكيته ، وقام بسلسلة كبير من الاجراءات الطويلة والمدروسة ، لكي يثبت اقدامه في الموص وحلب ، ومن ثم يتوجه صوب احدى الامارات الصليبية ، وقام عماد الدين زنكي بسلسلة من الاجراءات التي اعطت جيشه دفعاً جديداً معنوية عالية عبر قيامه بسلسلة من المعارك ان صحت تسمية بالاستطلاعية لغرض جس قوة العدو وتدريب قواته على الأرض التي ستجري عليها المعارك مستقبلاً ، وتحرير ما يمكن تحريره من الموصل والحصون التي كان الصليبيون مسيطرين عليها ، فلما اكمل زنكي الاستعدادات العسكرية توكل على الله سبحانه واتجه بكل ثقله العسكر متبعاً كل أساليب الخداع والتمويه من اجل ان يضيع الهدف الحقبة المتجه له ، ولمنع أي تقارب صليبي صليبي او صليبي بيزنطي ، كما كان يحدث من قبل فتوجه الى منطقة ديار بكر أولاً حتى لايشك الصليبيون بانه يقصدهم ، ومن ثم القيام بحركة سريعة جدا للوصول الى الهدف وهو تحرير مدينة الرها من يد الصلبيين ، وهذا ما تم فعلاً فحررها في 26 جمادي الثاني 539هـ /23/ كانون الأول 1144م ،وهذه اول إمارة صليبية تسقط بيد المسلمين ، وكانت هذه المعركة انطلاقة جديدة لتحرير كل الأراضي الخاضعة لحكم الصليبيين في بلاد الشام وفي غيرها من المناطق ، إذ تحرك عماد الدين زنكي بكل ثقله الى المدن التابعة الإمارة الرها وسيطر عليها مثل مدينة سروج وغيرها من المدن القريبة والقلاع الحصينة التي كان يحتمي بها الصلبيون فيما سبق ولكن يد الغدر امتدت الى عماد الدين زنكي وهو يجاهد عندما كان يحاصر قلعة جعبر ليتقوى بها على الصليبيين ، ولكن أمر الله سبحانه وتعالى قدرا مقدورا ، فرحم الله عماد الدين زنكي وقد انقسمت اتابكية زنكي الى قسمين رئيسين هما اتابكية حلب التي اصبحت من نصيب نور الدين واتابكية الموصل التي اصبحت من ممتلكات سيف الدين غازي . ان سقوط إمارة الرها افقد الصليبيين صوابهم وضيع النشوة التي كانوا يتمتعون بها بعد احتلال تلك المدينة ، التي كانت تشكل بموقعها أكبر معوق لأي جهد اسلامي في اعادة ترتيبات المنطقة بعد الاحتلال الصليبي، وقد اصطدمت كل الجهود الاسلامية بصخرة الرها ، التي كانت تتصدئ لأية محاولة لتوحيد الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين ، حيث حطمت بوجودها كل جسور الاتصال بين المسلمين في اسيا

الصغرى - والشام والعراق لقد اثار سقوط امارة الرها حفيظة البابا يوجين الثاني، فالتفت إلى فرنسا مركز انطلاق الحملة الصليبية الأولى واصدر منشوراً بابوياً دعا فيه فرنسا ممثلة بملكها لويس التاسع يحضه فيها على الاسهام والانضمام الى هذه الحملة الصليبية الجديدة فلبي لويس التاسع نداء البابا واقسم ان يشترك في هذه الحملة في يوم عيد الميلاد (ان) ان الرها قد سقطت بيد المسلمين في يوم عيد الميلاد من سنة 1144م) من سنة 1145م ، لكن جهود فرنسا لم تكن كافية فحث البابا القديس برنارد ، وقد استطاع هذا الأخير ان يجتذب اليه ملك المانيا كنراد الثالث، وتكتسب هذه الحملة اهميتها من اشتراك ملكين من ملوك أوربا بها وهما لويس التاسع ملك فرنسا وكونراد الثالث ملك المانيا. اد انطلقت الحملة الصليبية الثانية) هناك ملاحظة اود ان اشير اليها وهو أن تسمية الحملات وتعدادها هو امر غير دقيق ، وذلك أن الحملات الصليبية لم تنقطع ولا لسنة واحدة بل كانت مستمرة ، وحتى ان كنا دقيقين في اطلاق التسمية لم تنقطع شهرا واحدا) ، بعد جدال طويل الى الشرق متخذة الطريق البري المار بالقسطنطينية ، وقد سار كل جيش بعيداً عن الآخر خشية التصادم ، كما انهم واجهوا السلاجقة في آسيا الصغرى متفرقين ، وبسبب تقدم الألمان على الفرنسيين فقد أصطدموا مع قونية في معركة دوريليوم 1147م وعادوا خائبين بعد ان هلك معظم جندهم، كما لم يستفيدوا من الجيش الفرنسي الذي صحبه لويس التاسع والذي وصل بعد انتهاء المعركة اما لويس التاسع فقد اتخذ الطريق الطويل الساحلي الموصل الى بلاد الشام فعانى ما عانى من مشاكل وملاحقات السلاجقة على طول الطريق الساحلي البعيد جدا فوصلها في سنة 1148م ، وقرروا مهاجمة دمشق الحليف الوحيد للصليبيين في بلاد الشام ، بعد وصول كنراد من القسطنطينية بحراً، وحاصروا دمشق لمدة أربعة ايام . استطاع وزير دمشق معين الدين انر أن يبذر الشقاق بين الصليبيين القدامى والجدد وبدل الرشاوي فرفع الحصار عن دمشق في حزيران من سنة 1148 اخفقت الحملة الصليبية الثانية ، وبينت مدى الضعف الذي تعاني منه اوربا حتى ولو اشتركت في حملات عسكرية يقودها البابا بنفسه وادت المصالح الشخصية دورا كبيرا في أفشالها ، كما أن فشل هذه الحملة اثار حفيظة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ، من توسع سلطة الصليبيين في المستقبل فبدأ بتحرير المناطق التي قد تقف حجر عثرة امام جهوده في طرد الصليبيين من بلاد الشام ، أو تلك التي قد يتخذها الصليبيون مستقبلا قاعدة انطلاق لهم في المستقبل ، فحرر تل باشر ومناطق اخرى كانت تتخذ قاعدة انطلاق وهجوم ، وقد اثارت اعمال نور الدين محمود ، حفيظة الامراء الصليبيين في بلاد الشام فجددوا تحالفهم مع دمشق وتحالفوا فيما بينهم وعقدت مصاهرات تزوج مانويل من ماريا ملكة انطاكية ، وتزوج بلدوين و املريك من بيت كوسنين) هدفت الى توحيد الصليبيين في بلاد الشام ضد نور الدين محمود الأوضاع في مصر : لقد حرر عماد الدين زنكى امارة الرها وسعى الى تحرير مناطق أخرى ومنها قلعة جعبر التي كان

يسيطر عليها سالم بن مالك العقيلي وحاصرها فى صيف 541هـ / 1146م ، لكن يد الخيانة امتدت الى عماد الدين زنكى واغتالته وهو نائم في خيمته ، وربما قام امير جعبر أو التحالفات الصليبية دورا فى هذا الاغتيال وبعد وفاة عماد الدين زنكي انقسمت دولته على قسمين امارة الموصل اصبحت تحت قيادة سيف الدين

لبلغازي وإمارة حلب وهي المهمة وفي صدر الاحداث تحت المارة نور الدين محمود فالاول كان صاحب سياسة وأناة يزينها اقدام يكف عنه الطامع)) ((والثاني جياش القلب بالايمان يرى نفسه مجاهدا لم يخلقه الله الا لجمع كلمة المسلمين واخراج الاعداد من ديارهم، وكا في طبعه رقة كسبت له نفرا من أعدائه كانوا قد نفروا من عنف أبيه عماد الدين زنكي وكان إلى ذلك عنيفاً قنوعاً اذا قرأت سيرته حسبت انك أمام مرابط مجاهد بسيط ، لا امام سلطان له جاه وجيوش التحق بخدمة الأمير نور الدين محمود احد القادة الاكراد واسمه اسد الدين شيركوه، وقد صحبته أسرته حيث انتقلت من قلعة تكريت التي كانت يوما ما تابعة لأتابكية الموصل في ظل عماد الدين زنكي ، وكان من بين افراد اسرته صلاح الدين الأيوبي ذلك الفتى اليتيم الذي تربى وترعرع بين احضان عمه اسد الدين شيركوه وبعد انتصار عماد الدين زنكي على الصليبيين واستعادة الرها فكر الصليبيون باحتلال مصر بوصف انها المكان الأفضل بالنسبة لهم ولكي يستفيدوا من امكانات مصر الاقتصادية ومن موقعها المطل على البحر المتوسط والبحر الأحمر، وقد خططوا وقاسوا المسافات والمراحل اليها ، ونقلت اليهم ضعف أوضاعها السياسية وانشغال حكامها وقادتها بمشاكلهم الداخلية وتناحرهم على المناصب والاستئثار بالسلطة وضعف الخلفاء المتأخرين من الفاطميين وقد كان الصراع في مصر متأججاً بين الوزيرين ضرغام الذي التجأ إلى الصليبيين) وشاور (وهما من وزرا الدولة الفاطمية) فالتجأ شاور إلى نور الدين محمود في بلاد الشام وطلب منه المساعدة لإرجاعه الى منصبه بوصفه وزيراً للخليفة الفاطمي ، مقابل الاعتراف بتبعيته للأمير نور الدين محمود ولقاء مبلغ من المال يؤدي له فارسل نور الدين محمود معه جيشا بقيادة أسد الدين شيركوه ، بحيد اعاده الى منصبه ، وحدث خلاف بعد ذلك أطاح بالوزير شاور بعد تنكر لمن اعاده الى الوزارة وتحالف مع الصليبيين، وتولى الوزارة أسد الدين شيركوه ، ثم اعقبه ابن اخيه صلاح الدين الأيوبي الذي اصبح وزيرا ، ثم قلب الحكم لصالح الخلافة العباسية، وقضى على الخلافة الفاطمية في مصر . واصبحت مصر تابعة بشكل رسمي الى أمارة نور الدين محمود في بلاد الشام وكان عليه أن يسخر جهود مصر لخدمة القضية الكبرى وهي القضاء على المعاقل الصليبية في بلاد الشام ، وهذا لم يحققه نور الدين محمود في حياته بل حققه خليفته وولي نعمته صلاح الدين الأيوبي . بدأ صلاح الدين الايوبي من حيث انتهى سيده نور الدين محمود في الاعداد لتكوين جيش

قوي يخضع له بالولاء ويدين اليه بالطاعة ،وقد واجه بعض المصاعب من سكان مصر أولا ومن سيده نور الدين محمود وخلفاء نور الدين محمود الدين وقفوا في بعض المرات ضد سياسته ، حرصاً على مصالحهم الخاصة ، ودون الالتفات الى مصلحة المسلمين التي هي من مصلحتهم أيضاً ، أو في نهاية الأمر . واخذ صلاح الدين الايوبي يسعى الى توحيد الجبهة الاسلامية مما اقتضى السيطرة على حلب الى السيطرة على اتابكية الموصل والمناطق التابعة لها ، مما اثار ضده بعض المشاكل هو لم يهدف فيما كان يهدف الى السيطرة على هذه المناطق واتخاذها عمقاً استراتيجيا له في ساعات الضرورة ، ولاسيما ان نتيجة المعارك لم تكن دائماً . مضمونة النتائج لصالح صلاح الدين الايوبي اخذ صلاح الدين الايوبي يعد العدة امواجهة حاسمة مع الصليبيين واخذ يتحرك بعدة استراتيجيات فى وقت واحد فهو يعد العدة لإسترجاع حصن معين ، وفي الطريق يؤدب بعض المتمردين عليه كما يسعى الى عقد تحالف جديد يهدف فيما يهدف اليه مستقبلاً تحقيق هدف جديد يعينه في الحرب القادمة وهذا لا يتحقق بدون جهد عسكري كبير ، فاقتضى هذا اعداد جيش مدرب على كل انواع الاسلحة ومستغلا طاقات المتطوعين الذين يشكلون قوة لابأس بها في حماية الاجنحة والقدمات الادارية والمناطق الساقطة عسكرياً، حتى لا تتمكن قوات العدو من استغلالها لضرب المسلمين من الخلف او من الاجنحة او اشغال الجيش الايوبي بالهجوم على عدد من المناطق اثناء الهجوم على قوة العدو الرئيسة ،كما ان اعداد الجيش يقتضي توفير الاموال الضخمة لتلبية متطلبات الجيش واهمها دفع رواتب الجند في اوقاتها المحددة وتهيئة متطلبات الجند من ملابس وغذاء للجند وعلف للخيول والدواب الأخرى ولم يغفل صلاح الدين الايوبي عن الاسطول ، فكما نعلم ان الاسطول الفاطمي قد تعرض الى التدمير على يد الصليبيين ، كما ناله الاهمال في أواخر العهد الفاطمي ،ولذلك عني صلاح الدين الأيوبي بالاسطول ، وقد حضه الخليفة العباسي على ذلك (وقد علمت ان العدو ها جارك الادنى، والذي يبلغك وتبلغه عيناً واذناً، ولا عذر لك في ترك جهاد بنفسك ومالك اذا قامت لغيرك الاعذار، فلا بد له من اسطلول يكثر عدده ويقوى مدده، فانه العمدة الذي تستعين بها على كشة . الظلماء، والاستكثار من سبايا العبيد والاماء ، وجيشه اخو الجيش..... فذلك يسري على متن الريح ، وهذا يجري على متن الماء)) على رفع رواتب رجال الاسطول بنسبة 20% على الرغم من ، وعمل صلاح الدين الأيوبي على رفع رواتب رجال الاسطول بنسبة 20% على الرغم من ضعف إمكاناته في هذا الوقت بالذات كما كاتب امراء المغرب لدعم أسطوله فقد كتب اليه) فأن كانت الاساطيل بالجانب الغربي ميسرة ، والعدة فيها متوافرة ، والرجال في اللقاء فارهة وللمسير غير كارهة، فالبدار البدار . كما لم يغفل صلاح الدين الايوبي عن العناية بالمدن الساحلية وتحصينها ضد هجمات الصليبيين لإتخاذها قواعد دفاع وامداد للجيش الاسلامي ومحطات تعويق ومشاغلة للعدو في حالات الهجوم ، حتى لاتكون متفرغة

لإمداد الصليبين اثناء الهجوم الاساس الذي كان يخطط له صلاح الدين الايوبي ، وهو استعادة بيت المقدس من يد الصليبيين كما شرع صلاح الدين الايوبي بمهاجمة الحصون المهمة التي تشكل خطراً عليه وعلى المسلمين واخذ يحاصر الحصون ذات الاهمية السوقية ويفتتها او يهدمها حتى لا يستفيد منها الصليبيون مستقبلاً ، وكان ملك ارناط قد أتعب المسلمين وصلاح الدين الايوبي معا ، وعلى الرغم من الهدنة الموقعة بين ارناط وصلاح الدين الا ان ارناط لم يلتزم بشيء ولم يمتثل لأوامر ملك بيت المقدس ، فنذر صلاح الدين دمه وعاهد الله سبحانه وتعالى أن أمسك به ليقتله بيده وكانت قسم من قوات صلاح الدين قد اشتبكت مع الصليبيين عند صفورية بقيادة مظفر الدين كوكوبوري ،وكبدت الداوية والاسبتارية خسائر فادحة شجعت صلاح الدين على التوجه لقتال الصليبيين.

معركة حطين وتحرير بيت المقدس

ارسل صلاح الدين الأيوبي رسائل الى مختلف مناطق البلاد الاسلامية ، يحضها على المشاركة في حملة كبيرة لتحرير بيت المقدس من يد الصليبيين، وجاءته الجيوش من مختلف أرجاء العالم الاسلامي وقد اتخذ صلاح الدين الأيوبي الاجراءات المناسبة لحماية الجيش المصري اثناء توجهه الى بلاد الشام فقام هو بحماية ميمنة الجيش المصري من غارات الصليبيين في منطقة الكرك والشوبك ووادي عربة ، وهذا قد أمن وصول القوات المصرية الى بلاد الشام بسلام فعله وفي مطلع عام 583هـ وصلت القوات الاسلامية من مختلف أرجاء البلاد الاسلامية من الموصل وحلب ومصر وغيرها من المناطق الاسلامية ، كما اجتمعت القوات الصليبية في مدينة صفورية ، وقد استشار صلاح الدين الايوبي كبار قادته ومستشاريه فيما يجب ، فأشاروا عليه بعدم التعرض لهم والاكتفاء بالنهب والغارة والتخريب وقد رد عليهم صلاح الدين علينا ان نلقى بجميع المسلمين جميع الصليبيين، فان الامور لاتجري بحكم الانسان ولا نعلم قدر الباقي في اعمارنا، ولا ينبغي أن نفرق هذا الجمع إلا بعد الجد بالجهاد فلما رأى الأفرنج وجهة صلاح الدين الى طبرية اجتمعوا للتشاور فقال : علينا بمقاتلة المسلمين ومنعهم من اجتياح مدينة طبرية ، وفي هذه الاثناء وصلت الصليبيين انباء عن فتح مدينة طبرية دون قلعتها ،فاختلفوا ، ((فقال لهم القمص ان طبرية لي ولزوجتي، وقد فعل صلاح الدين جميع بعضهم بالمدينة ما فعل، وبقي القلعة، وفيها زوجتي وقد رضيت ان يأخذ القلعة وزوجتي ومالنا بها ويعود فوالله لقد رأيت عساكر الاسلام قديما وحديث ما رأيت مثل هذا العسكر الذي مع صلاح الدين كثرة وقوة، واذا اخذ طبرية لا يكمنه المقام بها، فمتى فارقها وعاد ،اخذناها، وان اقام لا يقدر على المقام بها الا بجميع عساكره، ولا يقدرون على الصبر طول الزمان عن أوطانهم واهليهم ، فيضطر الى تركها ، ونفتك من أسر منا)) ، وقد عارضه

ارناط صاحب الكرك ، وجرت المعركة ،حيث سحب صلاح الدين قواته من طبرية ، وكان هدف صلاح الدين من محاصرة طبرية هو الإجبار الصليبيين على القتال في مناطق مختارة بدقة وعناية ،حيث اختار صلاح الدين مكانا يوفر للمسلمين الحماية والماء ويحرم الصليبيين منهما، وتقدم المسلمون واشتبكوا مع الصليبيين وهم يحاولون ان يصلوا الى الماء في طبرية فصدهم صلاح الدين عن هدفهم ،وقام بعض المسلمين بحرق الأحراش فاصبح الصليبيين بين نار صلاح الدين وخطته وبين نار القصب وقد قاتل كلا الفريقيين قتال اليائس ، حتى كتب الله النصر للمسلمين في معركة حطين، وكان أشد شيء في المعركة هو نصب الصليبيين لصليب الصلبوت الذي يدعي الصليبيون ان السيد المسيح عليه السلام قد صلب عليه حيث عمل هذا العمل فعله في استمرار القتال الصليبيين وتم هذا النصر في العشرين من ربيع الآخر من سنة 583هـ / 4 تموز 1187م . اسفرت معركة حطين عن هزيمة كبرى للقوات الصليبية ((ومن عاين القتلى ذلك اليوم :قال ماهنالك اسير ومن عاين الاسرى قال : ما هنالك قتيل)) ، وكان صاحب الكرك ارناط من بين الأسرى فذكره صلاح الدين بما قام به من نكث المواعيد والمعاهدات ثم قتله بيده الكريمة وعفى عن بقية الملوك بعد معركة حطين كان على صلاح الدين الايوبي خياران لاثالث لهما ، هي اما ان يتجه بقواته الى بيت المقدس ويحررها من يد الصليبيين او ان يتجه الى الساحل لتحرير المدن الساحلية وقطع الصلة بين أوربا وبين الصليبيين ومن ثم ترك الحصون الصليبية في الداخل دون اسناد او نجدة وذلك لسيطرة المسلمين على المدن الساحلية ، ولكن صلاح الدين سلك الخيار الأول وهو مهاجمة مدن الساحل ، فوصلت قواته إلى أسوار عكا ففتحها وفتح أغلب مدن الساحل مثل صرفند وصيدا وبيروت وجبيل وبقيت صور و عسقلان وطرابلس وبيت المقدس بيد الصليبيين. بعد هذا اتجه صلاح الدين الأيوبي الى مدينة القدس وحاصرها بعد ان حررمدينة عسقلان ، وابلى كلا الطرفين ضروباً من البسالة فقال ابن الاثير)) وقوتلوا اشد قتال راه احد من الناس كل واحد من الفريقين يرى ذلك ديناً، وحتماً واجباً، فلا يحتاج فيه الى باعث سلطاني، بل كانوا يمنعون ولا يمتنعون ، ويزجرون ولا ينزجرون)) . بعدها ادرك الصليبيون أن لا قبل لهم بالمقاومة فأذعنوا الى الاستسلام بعد أن رفض طلبهم أول الأمر فوافق صلاح الدين على ذلك ففتحت بيت المقدس ابوابها للمسلمين في 27 رجب من سنة 583هـ /2/ تشرين الأول من سنة 1187م ، وقد سمح صلاح الدين للافرنج بمغادرة المدينة المقدسة يعكسر ما فعلوه من مجازر عندما احتل الصليبيون مدينة القدس واود هنا از انقل نصاً ذكره أحد المؤرخين الغربيين لنذكر به صغار النفوس من الغربيين ومن يركض وراءهم : ((الواقع أن المسلمين الظافرين اشتهرو بالاستقامة والانسانية، فبينما كان الفرنج منذ ثمان وثمانين سنة يخوضور دماء ضحاياهم لم تتعرض الآن دار من الدور للنهب ، ولم يحل باحد الاشخاص مكروه، إذ صار رجال الشرطة بناءً على أوامر صلاح الدين

يطوفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين)) كما وصف صلاح الدين بانه كان بعيدا عن روح الانتقام ((والواقع ان رحمته وعطفه كانا على نقيض افعال الغزاة المسيحيين في الحملة الصليبية الأولى... وهو في نضاله كان بعيدا كل البعد عن التأثر بأي عداء شخصي او الرضوخ لشهوة الانتقام ، وعلى العكس من ذلك كان الكثيرون من زعماء الصليبيون بمن فيهم رجال الدين لا يعرفون الا مصلحتهم الشخصية .)) وبعد تحرير بيت المقدس تجمعت كل القوات الصليبية في مدينة صور ، واصاب الجند الاسلامي التعب جراء المعارك التي خاضوها ولكون الشتاء على الابواب قرر صلاح الدين رفع الحصار عن صور ، ريثما تتحقق له فرصة اخرى بعد، ان ادى دوره على أفضل ما يجب، للدفاع عن حدود المسلمين وتحرير اراضيهم

آثار تحرير بيت المقدس على الوضع الأوربي

تلقت اوربا كنيسة وملوكاً نبأ تحرير بيت المقدس بأسى كبير وشعرت الكنيسة وملوك اوربا بانهم قد اهملوا اخوانهم في بلاد الشام وتركوهم لقمة سائغة امام المسلمين ، لذا قرروا القيام بالدعوة لحملة صليبية اخرى ، عرفت بالحملة الصليبية الثالثة فقد أثارت انتصارات صلاح الدين الايوبي في تحرير بيت المقدس ومعظم مدن ساحل بلاد الشام من ايدي الصليبيين ، حفيظة ملوك اوربا مما دفع بعضهم الى تناسي خلافاتهم واحقادهم وتوحدوا لإعداد حملة صليبية جديدة عرفت بالحملة الصليبية الثالثة وحدث تحالف بين اطراف مختلفة فكرياً وعقائدياً من اجل هدف واحد وهو محاربة صلاح الدين الأيوبي والمسلمين في بلادالشام وضرورة استعادة السيطرة على بيت المقدس من يد المسلمين، فقد تحالف ملك صقلية النورماندي وليم الثاني مع امبراطور الدولة البيزنطية هذه الدولة وعقد صلحا مع هذه الدولة التي حاربها سنين طوال ، وارسل الباب جريجوري الثامن كتيبة من الدعاة الى مختلف اقطار أوربا يدعوهم فيه للاشتراك في حملة صليبية جديدة ومهدداً من لم يشارك فيها بالحرمان والطرد من الكنيسة واعداً اياهم بغفران الذنوب ، كما لعب البابا التالي دوراً مهماً في مخاطبة ملكي فرنسا وبريطانيا للاشتراك في الحملة ، وقد تناسى هذان الملكان ما بينهما من منازعات وحروب وقررا الذهاب الى الشام ودعيا جميع رعاياهما للانخراط في الحملة ،وان من لا يشترك فيه عليه بان يدفع ضريبة العشر والتي سميت بـ (عشور صلاح لدين.) كه شاركهم ملك المانيا الذي اعد حملة كبيرة عبرت القسطنطينية الى البـ ، لكنها فشلت في تحقيق هدفها بسبب تحالف امبراطور الدولة البيزنطية مع صلاح الدين الايوبي فتعرضت حملة ملك المانيا الـ الآسيوي الابادة.

3- الحملة الصليبية الثالثة :

اما عن الحملة الصليبية الثالثة (حملة ملك انكلترا وفرنسا) فجاءت لمسانده الملك جي لوزجان الذي اسره صلاح الدين الأيوبي بـ سوف لن يحاربه ابدا إذا اطلق سراحه وعفا عنه بعد أن أعدم أمامه مـ الكراك ورأى الموت امام عينيه ، الا أن الصليبيين غالباً ما ينسون قطعوه على انفسهم من عهود وينكثون بما عاهدوا الله اولاً وما عاهد من عفا عنهم فجمع هذا الملك الصليبي ما يقرب من 20000 من صليبي من الذين اطلق صلاح الدين الايوبي سراحهم وجندهم لمحاصره مدينة عكا استنجد صلاح الدين الايوبي بالعساكر من مختلف المناطق كتب الى امراء الموصل والجزيرة ومصر وسنجار وحلب فجاء العساكر من كل حدب وصوب ولو ان بعضها وصل متأخرا واثر بعضها الانسحاب عن عسكر صلاح الدين وهو يدافع عن عكا بلغت القوات الصليبية قرابة ال 30000 مقاتل وحدثت خروقات في تطبيق خطة صلاح الدين الايوبي وذلك بعدم اطاعة بعض قادة جنده له وإهمالهم متابعة الصليبيين الخارجين من صور من الالتحاق بالعسكر الصليبي المحاصر لعكا، كما استخدم الصليبيون الجنس في محاربة المسلمين فقد روى صاحب كتاب الفتح القسي ، قد وصلت في هذه المدة عن طريق البحر سفينة صليبية فيها ثلاثمائة امراة ((متزينة قد إجتمعن وأنتدبن للجزائر .. وتأهبن لإسعاد الاشقياء وتلهين على السفاح والفساد من كل زينة .. فاجرة نجلاء كحلاء ، فوصلن وقد سلبن انفسهن .. وذكرن انهن قصدن بخروجهن تسبيل فروجهن ...وتفردن بما ضربنه من الخيم والقباب)) وهذا النص يشير الى ان الصليبيين قد استخدموا الجنس كسلاح في حربهم ضد المسلمين ، وبخاصة اذا ما علمنا ان هؤلاء النسوة قد نصبن خيامهن قرب المعسكر الإسلامي

تظافرت عوامل داخلية وخارجية (الداخلية تواطؤ سكان عكا من المسيحيين مع الصليبيين ومراسلتهم ونقلهم صورة حقيقية عما يجري داخل المدينة، والخارجية عدم معرفة خطط الصليبيين فعندما يقع أسير صليبي بيد المسلمين كانوا لا يعرفون كيف يحصلون منه على المعلومات الاستخبارية، ولو تكلم ما عرفوا أو فهموا لغته) ، على افشال الدفاع عن عكا رغم استماتة حاميتها في الدفاع عنها لمدة سنتين ، لكن طول فترة الحصار وتواصل الامدادات الاوربية من البحر تساعده سفن البندقية وبيزا وجنوة ومرسيليا ونابولي وغيرها ، فضلاً عن دعم الكنيسة المستمر لتلك الحملة وعدم قدرة القوات الاسلامية على التواصل مع المعركة وخيانة اطراف وانسحاب أطراف أخرى ، عجل بسقوط مدينة عكا ،وقد قتل كل من وجد في عكا من المسلمين نساء ورجالا وأطفالاً وهذا هو حال الصليبيين في كل مدينة يدخلوها فلو ان صلاح الدين الأبوبي قتل الصليبيين الخارجين من بيت المقدس وحدها لما سقطت عكا مهما جاءت من امدادات فكيف بتركه لكثير من سكان المدن

الأخرى من الصليبيين والتي حررها وتركهم يخرجون منها بموجب اتفاقات ومعاهدات احترمها المسلمون وصلاح الدين الايوبي وطالب فيها الصليبيون بالسماح لهم بالرجوع الى أوطانهم، فيم، كان النكث والغدر من الجانب الصليبي واضحاً جداً